مدرسة قد سمح

بشرح المهندس علاء حامد

ملخص المحاضرة الثانية عشر

علاء حامد
Alaa Hamed

ملخص المحاضرة الثانية عشر

الحمد لله، والصلاة والسلام على رسول الله صلى الله عليه وسلم.
نلتقي اليوم في مدارسة جديدة بعد الانتهاء من سورة المنافقون، لنبدأ سورة التغابن، وهي سورة عظيمة مباركة. قد يجد بعض الناس صعوبة في حفظها، لكن بعد هذا الدرس وما يليه يمكن حفظها بسهولة، فهي من أيسر وأمتع سور القرآن.
نوصي بتجديد النية، والعمل بالعلم، ونسأل الله النور والهداية، وأن يجعل القرآن ربيع قلوبنا ونور صدورنا.

التعريف العام بالسورة

اختلف العلماء في كون السورة مكية أو مدنية، والأشهر والله تعالى أعلم أنها مدنية.
يقول العلماء إنها آخر المسبحات، أي آخر السور التي افتُتحت بالتسبيح، سواء بلفظ: سَبّحَ أو يسبّح أو سَبِّح.

محاور سورة التغابن

1(الحرص على طاعة الله تعالى.
2(الحرص على اغتنام الأوقات.
3(الحرص على اتقاء غضب الله سبحانه وتعالى؛ حتى لا يقع الإنسان في التغابن.

معنى التغابن

التغابن مأخوذ من الغبن، وهو مصطلح يُستعمل في البيع والشراء، فيقال: في هذه البيعة غبن.
والمقصود هو الخسارة، غالباً بسبب الخداع .
فقد تكون هناك سلعة ذات قيمة كبيرة، فيُخدع الإنسان فيبيعها بثمن بخس، فيقال: حصل غبن.
أو تكون السلعة رخيصة، فيُخدع فيشتريها بثمن غالٍ، فيقال: حصل له غبن، أي خُدع وخسر وتغافل.

ولذلك يُسمى يوم القيامة يوم التغابن؛ لكثرة الخاسرين، بخسارة صفقة الدنيا التي لم تُبنَ على طاعة الله.
حتى المؤمن الذي سيدخل الجنة سيتحسّر يوم القيامة على التقصير الذي ارتكبه والدرجات التي فاتته.
هذه الحسرة تكون يوم القيامة فقط، أما في الجنة فلا حزن ولا حسرة.

الغبن الحق أن تُباع الحياة بغير الجنة؛ فالمؤمن ربح، والكافر والمنافق خسروا، وذلك هو التغابن.
الحياة صفقة والأنفاس رأس مال
وكأن الحياة صفقة، والنفس الذي تتنفسه كنز، يمكن أن تشتري به جنة، أو تشتري به جحيمًا، بحسب كلامك وبحسب أفعالك.
الأذكار صفقات رابحة
سبحان الله وبحمده: من قالها غُرست له نخلة في الجنة.
لا حول ولا قوة إلا بالله: كنز من كنوز الجنة.
الوقت حياة الإنسان، وكل لحظة يجب أن تُستثمر فيما يرضي الله، من ضيع لحظاته في الفراغ أو المعاصي خسر نفسه، ومن استثمرها بالخير فاز.
فالصفقة مع الله سهلة لمن استثمر عمره بالخير.

قال تعالى:
﴿إِنَّ ٱللَّهَ ٱشۡتَرَىٰ مِنَ ٱلۡمُؤۡمِنِينَ أَنفُسَهُمۡ وَأَمۡوَٰلَهُم بِأَنَّ لَهُمُ ٱلۡجَنَّةَۚ يُقَٰتِلُونَ فِي سَبِيلِ ٱللَّهِ فَيَقۡتُلُونَ وَيُقۡتَلُونَۖ وَعۡدًا عَلَيۡهِ حَقّٗا فِي ٱلتَّوۡرَىٰةِ وَٱلۡإِنجِيلِ وَٱلۡقُرۡءَانِۚ وَمَنۡ أَوۡفَىٰ بِعَهۡدِهِۦ مِنَ ٱللَّهِۚ فَٱسۡتَبۡشِرُواْ بِبَيۡعِكُمُ ٱلَّذِي بَايَعۡتُم بِهِۦۚ وَذَٰلِكَ هُوَ ٱلۡفَوۡزُ ٱلۡعَظِيمُ﴾ [التوبة: ١١١]
الله سبحانه وتعالى أعطاك رأس المال: النفس، والوقت، والمال، والحياة نفسها. وأعطاك معها فرصة الاختيار: إما تجارة رابحة مع الله، وإما غبن وخسارة يوم الحساب.
قال تعالى:
﴿ أُوْلَٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ ٱشۡتَرَوُاْ ٱلۡحَيَوٰةَ ٱلدُّنۡيَا بِٱلۡأٓخِرَةِۖ فَلَا يُخَفَّفُ عَنۡهُمُ ٱلۡعَذَابُ وَلَا هُمۡ يُنصَرُونَ﴾ [البقرة: ٨٦]

أعظم نعمتين: الصحة والفراغ.
قال عليه الصلاة والسلام:
"نعمتان مغبون فيهما كثير من الناس: الصحة والفراغ"
بيان مقدار خسارة الناس عند تضييع نعمتي الصحة والفراغ.

الفراغ الفراغ سيف ذو حدّين: إن أُحسن استغلاله نجا الإنسان، وإن ضُيِّع صار سببًا للغَبْن.
كثيرون يمضون أوقاتهم في الهاتف، في المقاطع القصيرة، وفي الكلام الذي لا ينفع، فيذوب عمرهم بين برامجٍ فارغة وأعمالٍ بلا قيمة.

ملخص المحاضرة الثانية عشر

في يوم القيامة، ستُفتح دفاتر العمر، فيكتشف الإنسان كم أضاع من وقت، وكم ضاعت لحظاته في معصية، فيتمنى لو أنه قد استثمر كل ثانية في طاعة الله، قبل أن يندم على ما فات.

الصحة الصحة نعمة عظيمة، وكثير من الناس لا يقدّرونها إلا بعد أن تضعف طاقتهم، فيبدأون الصلاة والصيام، وهم عاجزون عن أدائها كما ينبغي.

والأولى هو استثمار أيام الشباب وقوة الجسد في السعي إلى العبادة والخير لا تضيع صحتك ولا فراغك، فكل لحظة ضائعة تصبح سببًا للندم يوم القيامة.

اغتنم شبابك في الطاعة، وافرِح به في العبادة.

قال النبي صلى الله عليه وسلم عن السبعة الذين يظلهم الله في ظله يوم لا ظل إلا ظله:

"شاب نشأ في عبادة الله"

استغل وقتك واشغله بطلب العلم، وحفظ القرآن، والعبادة النافعة.

ففي يوم القيامة يُقال لقارئ القرآن: اقرأ وارتقِ ورتّل، فإن منزلتك عند آخر آية تقرؤها.

تخيّل لو كنت حافظًا مئة أو ألف آية فقط، بينما يبلغ عدد آيات القرآن كله 6236 آية!

ستحزن حين ترى الآخرين يرتقون في الجنة، وأنت قد أهملت وقتك وشبابك وصحتك.

بادر بالعمل الصالح وحفظ القرآن، واجتهد في الطاعة؛ فإن الله تعالى يثيب العبد على قدر نيته الصادقة، حتى وإن لم يتمكن من العمل أو حال بينه وبينه عذر.

(الآية 1)

{يُسَبِّحُ لِلَّهِ مَا فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَا فِي ٱلۡأَرۡضِۖ لَهُ ٱلۡمُلۡكُ وَلَهُ ٱلۡحَمۡدُۖ وَهُوَ عَلَىٰ كُلِّ شَيۡءٖ قَدِيرٞ}

التسبيح هو تنزيهُ الله تعالى عن كل نقصٍ وعيب، وإثباتُ كماله المطلق في ذاته وأسمائه وصفاته وأفعاله.

فكل ما يصدر عنه جل وعلا إنما هو عن عدلٍ وحكمة، ولا يجوز الاعتراض على أقداره أو اتهام أفعاله؛ لأنه سبحانه منزَّه عن الخطأ والظلم.

كل ما في الكون يشهد بكمال الله ويسبحه.

التسبيح الكوني يعني أن جميع ما في السماوات والأرض يسبّح بحمد الله تعالى، فالكون كله خاضعٌ لله ومُتَّسق مع أمره.

وحين يسير المؤمن في طاعة الله على مراده، يكون منسجمًا مع هذا الكون المسبّح، فيحبه ما في السماء وما في الأرض، وتؤيده الملائكة والطير، لأنه وافق فطرته وفطرة الكون كله.

عن النبي صلى الله عليه وسلم قال لما مرّت عليه جنازة:

"مستريحٌ ومستراحٌ منْهُ فقالوا: ما المستريح وما المستراح منه؟ قال: العبد المؤمن يستريح من نصبِ الدنيا وأذاها والعبد الفاجر يستريح منْه العباد والبلاد والشجر والدواب"

بيان أثر الإيمان والطاعة في الكون عند الموت.

فضل التسبيح وعظيم أجره

وقد ثبت أن:

«سبحان الله والحمد لله تملآن ما بين السماء والأرض»

كان عبيد بن عمير رحمه الله يقول: "تسبيحةٌ بحمد الله في صحيفة المؤمن خيرٌ له من الدنيا وما فيها."

والتسبيح المقرون بالحمد أعلى وأكمل؛ فأن تقول: سبحان الله فضل عظيم، وأن تقول: سبحان الله وبحمده فهذا أعلى وأحب إلى الله.

التسبيح من الباقيات الصالحات، لأن التسبيحة تبقى عند الله، وأما الدنيا فإنها تفنى.

قال تعالى:

﴿ٱلۡمَالُ وَٱلۡبَنُونَ زِينَةُ ٱلۡحَيَوٰةِ ٱلدُّنۡيَاۖ وَٱلۡبَٰقِيَٰتُ ٱلصَّٰلِحَٰتُ خَيۡرٌ عِندَ رَبِّكَ ثَوَابٗا وَخَيۡرٌ أَمَلٗا ﴾ [الكهف: ٤٦]

قال أهل التفسير: إن الباقيات الصالحات يدخل فيها:

سبحان الله، والحمد لله، ولا إله إلا الله، والله أكبر.

﴿لَهُ ٱلۡمُلۡكُ وَلَهُ ٱلۡحَمۡدُۖ﴾

له الملك أي: الله يملك كل شيء ويحكم فيه، وملكُه التام يُستحق له العبادة وحده.

وهو دليل على التوحيد: فالمستحق للعبادة هو من يملك كل شيء.

وله الحمد، أي: له جميع الكمالات، فيُحمد سبحانه على كماله في خلقه، وأمره، ونهيه، وأفعاله، وأقواله.

فله الكمال المطلق من كل وجه.

كمال اجتماع الملك والحمد لله تعالى

اجتماع قوله: له الملك وله الحمد يدل على كمال الله المطلق؛ فالملوك قد يملكون لكن لا يُحمدون دائمًا، أما الله فملكه تام وأفعاله كاملة بالعدل والحكمة، فاجتمع له كمال الملك وكمال الأفعال والأقوال، وهو كمال فوق الكمال.

﴿وَهُوَ عَلَىٰ كُلِّ شَيۡءٖ قَدِيرٞ﴾

وهذا يفتح باب رجاء عظيم؛ فربك على كل شيء قدير، فتعتمد القلوب عليه وتطلب منه بثقة.
مهما تأخر أو قدّم أو أدخر لك الأجر، أو أعطاك في الدنيا أو الآخرة، قل دائمًا: الحمد لله.

(الآية 2)
{ هُوَ ٱلَّذِى خَلَقَكُمۡ فَمِنكُمۡ كَافِرٞ وَمِنكُم مُّؤۡمِنٞۚ وَٱللَّهُ بِمَا تَعۡمَلُونَ بَصِيرٞ }

دلالات قوله تعالى:
﴿ هُوَ ٱلَّذِى خَلَقَكُمۡ ﴾
1) استحقاق العبادة: فالخالق وحده هو المستحق للعبادة.
2) الدلالة على البعث: الخلق الأول يبين قدرة الله على إعادة الخلق، وإليه المصير.
3) دليل على القدرة الإلهية: أن الله قادر على كل شيء.

القول الأول: من منظور علم الله السابق
أي أن الله سبحانه وتعالى كان يعلم مسبقًا من سيكون مؤمنًا ومن سيكون كافرًا، وكتب ذلك في اللوح المحفوظ.
فالقدرة والعلم الألهيان محيطان بجميع الخلق: من سيكون في الجنة ومن سيكون في النار، دون أي ظلم أو عبث، فهو علم سابق لا يخل بالعدل الإلهي.
القول الثاني: من منظور أفعال العباد وإرادتهم
الإنسان يختار بإرادته الحرة بين الإيمان والكفر؛ بين طريق الخير وطريق الضلال.
وهذا يدل أن العباد مسؤولون عن أفعالهم، وأن وقوع القدر مرتبط بإرادتهم وخياراتهم دون إجبار.
والقولان متكاملان: فالله يعلم المقادير ويكتبها، والعباد يعملون باختيارهم، ولا تناقض بين علم الله السابق واختيار العباد.

أركان القدر
1) علم الله السابق بما سيعمل الخلق.
2) كتابة الله للمقادير في اللوح المحفوظ.
3) خلق الله لأفعال العباد؛ أي أن العباد يملكون الإرادة، والله خلقها.
4) مشيئة الله النافذة؛ فلا يكون في ملكه إلا ما يشاء.

توضيح مسألة الجبر

بيان العقيدة الجبرية:

هي الاعتقاد بأن الله أجبر العباد على أفعالهم، وأن معاصي العباد وطاعاتهم من الله سبحانه بلا اختيار منهم، وأنه لا يملك من الأمر شيئاً.

وهذه النظرية تعتمد على النظرة من زاوية علم الله السابق فقط؛ وهذا يوهم بوجود ظلم أو عبث من الله، حاشاه تعالى.

قال تعالى:

﴿مَّنْ عَمِلَ صَٰلِحًا فَلِنَفْسِهِۦ ۖ وَمَنْ أَسَآءَ فَعَلَيْهَا ۗ وَمَا رَبُّكَ بِظَلَّٰمٍ لِّلْعَبِيدِ﴾ [فصلت: ٤٦]

وقال الله تعالى:

﴿ وَمَا خَلَقْنَا ٱلسَّمَآءَ وَٱلْأَرْضَ وَمَا بَيْنَهُمَا لَٰعِبِينَ﴾ [الأنبياء: ١٦]

والعقيدة الجبرية تتنافى مع قوله تعالى: ﴿لَهُ ٱلْمُلْكُ وَلَهُ ٱلْحَمْدُ ۖ﴾

قال تعالى:

﴿ إِنَّ ٱللَّهَ يُدْخِلُ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَعَمِلُواْ ٱلصَّٰلِحَٰتِ جَنَّٰتٍ تَجْرِى مِن تَحْتِهَا ٱلْأَنْهَٰرُ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ يَفْعَلُ مَا يُرِيدُ ﴾ [الحج: ١٤]

الله له الملك والحمد،أفعاله حكيمة وكاملة، ولا يظلم عباده.

فالعباد غير مجبرين على أفعالهم، ولهم إرادة واختيار، كما جاء في القرآن:

{إِنَّ ٱلَّذِينَ يُلْحِدُونَ فِىٓ ءَايَٰتِنَا لَا يَخْفَوْنَ عَلَيْنَا ۗ أَفَمَن يُلْقَىٰ فِى ٱلنَّارِ خَيْرٌ أَم مَّن يَأْتِىٓ ءَامِنًا يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ ۚ ٱعْمَلُواْ مَا شِئْتُمْ إِنَّهُۥ بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرٌ } [فصلت: ٤٠]

تثبت الآيات مشيئة العباد وإرادتهم، وتؤكد أن أعمالهم صادرة عن اختيارهم، وأنهم مسؤولون عنها.

كما في قوله تعالى:

{ تِلْكَ أُمَّةٌ قَدْ خَلَتْ ۖ لَهَا مَا كَسَبَتْ وَلَكُم مَّا كَسَبْتُمْ ۖ وَلَا تُسْـَٔلُونَ عَمَّا كَانُواْ يَعْمَلُونَ} [البقرة: ١٣٤]

فالعمل يُنسب إلى العبد، ويُحاسَب عليه.

ولفهم مسألة القدر فهمًا صحيحًا، يجب الجمع بين أمرين: علم الله السابق وإرادة العباد؛ فالنظر إلى أحدهما دون الآخر يؤدي إلى الانحراف.

فلو نظر الإنسان إلى القدر من زاوية العلم السابق فقط، وقع في وهم الجبر

ولو نظر إلى مشيئة العبد وحدها، وقع في وهم الحرية المطلقة التي تنفي سلطان الله وعلمه، كما قالت القدرية، وكلاهما خطأ.

الفرق بين الخطأين

الجبرية: يزعمون أن الإنسان مسيّر بلا إرادة، فينسبون أفعاله إلى الجبر، وهذا يتعارض مع ثبوت إرادة العبد ومع كمال ملك الله.

القدرية: يزعمون أن الإنسان مخيّر استقلالًا، فينفون علم الله السابق وسلطانه على أفعال العباد.

قال النبي صلى الله عليه وسلم:

«اعملوا فكل ميسر لما خلق له»

يدل الحديث على أن للإنسان إرادة وقدرة يعمل بهما ويُحاسَب عليهما، وفي الوقت نفسه فإن عمله داخل في علم الله وتقديره وتيسيره، فلا جبر ولا استقلال عن مشيئة الله.

فالإنسان مسير ، يملك قدرة وإرادة حقيقيتين. وفعله لا يقع إلا باجتماع القدرة والمشيئة.

أما الفعل الناتج فهو مخلوق لله، ويُنسب إلى العبد لأنه جَزَمَ إرادته ووافق بها ما شاءه الله، فاستحق الثواب أو العقاب.

خلاصات مهمة في مسألة القدر:

لا يقع في ملك الله إلا ما يشاء، ومع ذلك لا يجبر العباد على أفعالهم الاختيارية.

للعباد قدرة ومشيئة، وبها تصدر أعمالهم.على أساسها يكون الحساب.

المنهج الصحيح يجمع بين سلطان الله وعلمه وقدرته، وبين إرادة الإنسان واختياره.

تنبيه: لا يُتوسَّع في الخوض في القدر؛ فهو من أسرار الله، والواجب فهم هذا التوازن والوقوف عنده، لأنه مرتبط بصفات الله وإرادته.

خطورة الاحتجاج بالقدر على المعصية

لا يجوز استخدام القدر حجة للكسل أو المعصية، كأن يقول الإنسان: «لو شاء الله لهداني، فلماذا أعمل؟». فهذا فهم خاطئ، فالدين يعلمنا أن لنا مشيئة وقدرة على العمل، وعلينا السعي مع العلم بأن كل شيء يحدث بإرادة الله، مع تحمل مسؤولية أعمالنا.

تقريب معنى القدر بمثال الرزق

يفهم الناس القدر في مسألة الرزق: أن الرزق مكتوب لكل إنسان، وأنه لابد من السعي لذلك، فلا يجلس الإنسان متكلاً على القدر، بل يعمل ويجتهد ليصل إلى رزقه، سواء بالعمل أو الدراسة أو غيرها.

لكنهم لا يطبقون ذلك على الطاعة والمعصية: الله كتب أهل الجنة وأهل النار، لكنه كتب الأسباب المؤدية لذلك، أي السعي والعمل. الإنسان لا يعلم ما كُتب له، لذلك عليه أن يسعى ويأخذ بالأسباب، سواء في طلب الخير أو الابتعاد عن الشر.

حتى الفقير يسعى للغنى، والمذنب يسعى للتوبة، لأننا لا نعرف ما كُتب لنا عند الله. الفهم الصحيح للقدر يجعل الإنسان يعمل بجد، كما كان يفعل الصحابة.

ورد عن الصحابة رضي الله عنهم أنهم قالوا: «ما كنا أشد اجتهادًا في العمل إلا بعدما فهمنا القدر».

لأن النتيجة مرتبطة بالسبب.

فلنتأمل قول الله تعالى:

﴿ فَأَمَّا مَنْ أَعْطَىٰ وَٱتَّقَىٰ * وَصَدَّقَ بِٱلْحُسْنَىٰ * فَسَنُيَسِّرُهُۥ لِلْيُسْرَىٰ ﴾ [الليل: ٤-٧]

نسب الله الفعل للعبد: أعطى، واتقى، وصدق،

ثم قال: فسنيسره.

وكذلك قال:

﴿وَأَمَّا مَنْ بَخِلَ وَٱسْتَغْنَىٰ * وَكَذَّبَ بِٱلْحُسْنَىٰ * فَسَنُيَسِّرُهُۥ لِلْعُسْرَىٰ ﴾ [الليل: ٨-١٠]

تيسير اليسر وتيسير العسر مرتبطان باختيارك ، ولك كسب ودور في النتيجة.

الفرق بين الجبر والاختيار

لا يصح أن نقول إن الإنسان مجبر على كل شيء. هناك أمور جبرية لا يُحاسب عليها، مثل دقات القلب، جريان الدم، اللون، أو الجنسية.

لكن الإنسان يُحاسب على ما له فيه اختيار، مثل الصلاة أو الشتم، لأنه يملك القدرة على الاختيار.

﴿هُوَ ٱلَّذِى خَلَقَكُمْ فَمِنكُمْ كَافِرٌ وَمِنكُم مُّؤْمِنٌ وَٱللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرٌ﴾

الله يعلم من يهدى ومن يضل، وله الحكم المطلق والقدرة الكاملة، وأن الحكمة من عدم هداية الجميع ليست من شأننا، بل تكمن في علمه وحكمته المطلقة.

﴿لَّوْ يَشَآءُ ٱللَّهُ لَهَدَى ٱلنَّاسَ جَمِيعًا﴾ [الرعد: ٣١]

حكمة الله أن يهدى من شاء بفضله، ويضل من رفض الهداية بعدله.

يكفيك من مسألة القدر التسليم التام لله بعد الأخذ بالأسباب، والرضى دون اعتراض.

(الآية 3)

{خَلَقَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ بِٱلْحَقِّ وَصَوَّرَكُمْ فَأَحْسَنَ صُوَرَكُمْ ۖ وَإِلَيْهِ ٱلْمَصِيرُ }

الآية دليل على البعث، وخلق السماوات والأرض أعظم من خلق الناس.

قال تعالى:

﴿ لَخَلْقُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ أَكْبَرُ مِنْ خَلْقِ ٱلنَّاسِ وَلَٰكِنَّ أَكْثَرَ ٱلنَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ ﴾ [غافر: ٥٧]

فمن قدر على الأعظم، فهو على الأصغر أقدر.

قال تعالى:

﴿أَوَلَيْسَ ٱلَّذِى خَلَقَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ بِقَٰدِرٍ عَلَىٰٓ أَن يَخْلُقَ مِثْلَهُم ۚ بَلَىٰ وَهُوَ ٱلْخَلَّٰقُ ٱلْعَلِيمُ ﴾ [يس: ٨١]

ومن باب أولى قدرته على بعث من في القبور.

﴿وَصَوَّرَكُمْ فَأَحْسَنَ صُوَرَكُمْ ۖ وَإِلَيْهِ ٱلْمَصِيرُ﴾

أي خلقكم، جعلكم في أجمل صورة وأحسن تقويم، فالإنسان هو أحسن المخلوقات صورةً وأبهاها منظراً.

(الآية 4)

﴿يَعْلَمُ مَا فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ وَيَعْلَمُ مَا تُسِرُّونَ وَمَا تُعْلِنُونَ ۚ وَٱللَّهُ عَلِيمٌۢ بِذَاتِ ٱلصُّدُورِ﴾

الله عليم بما تضمره الصدور وما تخفيه النفوس.

فحسِّن سريرتك، وجمِّل باطنك،

ولا تنشغل بالظاهر فقط.

قال النبي صلى الله عليه وسلم:

«إن الله لا ينظر إلى صوركم ولا إلى أجسادكم، ولكن ينظر إلى قلوبكم وأعمالكم»

القلب هو محل نظر الله سبحانه وتعالى ومستقر أنواره، حيث لا ينظر إلى الأجسام بل إلى القلوب والأعمال، فالقلب إذا صلح، صلح الجسد كله.

فليكن باطنك كظاهرك بل أفضل.

مناهج الدعوة وتنويع أساليب الإقناع

وبعد عرض الآيات السابقة الحجج العقلية في الدعوة إلى الله، كإثبات البعث والتوحيد والقدر، ينوّع الله أساليب البيان، فيصرّف الآيات ويعرضها بطرق متنوعة لتصل إلى عقول الناس وقلوبهم.

كما قال تعالى:

﴿وَكَذَٰلِكَ نُصَرِّفُ ٱلْـَٔايَٰتِ وَلِيَقُولُوا۟ دَرَسْتَ وَلِنُبَيِّنَهُۥ لِقَوْمٍ يَعْلَمُونَ ﴾ [الأنعام: ١٠٥]

(الآية 5)
{أَلَمۡ يَأۡتِكُمۡ نَبَؤُاْ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ مِن قَبۡلُ فَذَاقُواْ وَبَالَ أَمۡرِهِمۡ وَلَهُمۡ عَذَابٌ أَلِيمٌ}
فمن طرق الإقناع التي يستخدمها الله تعالى: مخاطبة الناس بقصص الأمم السابقة، التي مرّت بنفس أحوالهم، وبيان نهايتهم.
آلم يصلكم خبر قوم لوط، وخبر قوم عاد وثمود وقوم نوح؟ هؤلاء جميعًا جاءهم رسل، ودعوا لمثل ما دعا إليه سيدنا محمد صلى الله عليه وسلم، فكذبوه، وكانت نهايتهم معروفة.
قال تعالى:
﴿ وَإِنَّكُمۡ لَتَمُرُّونَ عَلَيۡهِم مُّصۡبِحِينَ * وَبِٱلَّيۡلِۗ أَفَلَا تَعۡقِلُونَ ﴾ [الصافات: ١٣٧-١٣٨]
الاعتبار بمصائر السابقين أسلوب دعوي مؤثر، يكشف سوء عاقبة المعصية وحسن عاقبة الطاعة، فالهلاك سببه تكذيب الحق.

(الآية 6)
﴿ذَٰلِكَ بِأَنَّهُۥ كَانَت تَّأۡتِيهِمۡ رُسُلُهُم بِٱلۡبَيِّنَٰتِ فَقَالُوٓاْ أَبَشَرٞ يَهۡدُونَنَا فَكَفَرُواْ وَتَوَلَّواْۖ وَّٱسۡتَغۡنَى ٱللَّهُۚ وَٱللَّهُ غَنِيٌّ حَمِيدٞ﴾

بين الله عز وجل الرد على الآية السابقة، فالقصة واحدة؛ قالوا كما قال من قبلهم :`﴿أَبَشَرٞ يَهۡدُونَنَا﴾
ينبغي الاتعاظ من الأمم السابقة.
تناقض الباطل وعدم ثباته
هذه الجملة خطيرة؛ لأنها تدل على أن الباطل متناقض دائمًا.
فالقاعدة: كلما تعاملت مع الباطل، ستجده مضطربًا، متناقضًا، لا يثبت على قاعدة، لأنه بلا أصول.
أما الحق فقواعده ثابتة.
قال الله تعالى:
{ أَلَمۡ تَرَ كَيۡفَ ضَرَبَ ٱللَّهُ مَثَلٗا كَلِمَةٗ طَيِّبَةٗ كَشَجَرَةٍ طَيِّبَةٍ أَصۡلُهَا ثَابِتٞ وَفَرۡعُهَا فِي ٱلسَّمَآءِ * تُؤۡتِيٓ أُكُلَهَا كُلَّ حِينِۭ بِإِذۡنِ رَبِّهَاۗ وَيَضۡرِبُ ٱللَّهُ ٱلۡأَمۡثَالَ لِلنَّاسِ لَعَلَّهُمۡ يَتَذَكَّرُونَ} [إبراهيم: ٢٤-٢٥]
وضرب مثل الكلمة الخبيثة:
{وَمَثَلُ كَلِمَةٍ خَبِيثَةٖ كَشَجَرَةٍ خَبِيثَةٍ ٱجۡتُثَّتۡ مِن فَوۡقِ ٱلۡأَرۡضِ مَا لَهَا مِن قَرَارٖ} [إبراهيم: ٢٦]
فكل باطل لا قرار له، ولا ثبات، ويمكنك أن تستدل عليه من كلامه نفسه.

{أَبَشَرٞ يَهۡدُونَنَا}

اعتراضهم على بشرية النبي صلى الله عليه وسلم متناقض؛ فإن كانوا يعترضون على كونه بشرًا فهم لا يرفضون مضمون الرسالة، بل حاملها، والعبرة بالرسالة لا بالرسول.

بل إنهم تناقضوا أكثر، فوصفوه بالكذب والسحر والجنون، ثم اشترطوا أن يكون الرسول بشرًا عظيمًا في نظرهم، كما قال تعالى:

﴿ وَقَالُواْ لَوۡلَا نُزِّلَ هَٰذَا ٱلۡقُرۡءَانُ عَلَىٰ رَجُلٖ مِّنَ ٱلۡقَرۡيَتَيۡنِ عَظِيمٖ ﴾ [الزخرف: ٣١]

حكمة إرسال الرسل من البشر أنهم أقرب للفهم والاقتداء، فلو أُرسل ملك لاعترضوا بعدم القدرة على اتباعه، لأنه لا يشاركهم صفاتهم البشرية

﴿ وَلَوۡ جَعَلۡنَٰهُ مَلَكٗا لَّجَعَلۡنَٰهُ رَجُلٗا وَلَلَبَسۡنَا عَلَيۡهِم مَّا يَلۡبِسُونَ ﴾ [الأنعام: ٩]

فكان إرسال بشر من جنسهم أولى، لفهمه والاقتداء به.

﴿فَكَفَرُواْ وَتَوَلَّواْ وَّٱسۡتَغۡنَى ٱللَّهُۚ وَٱللَّهُ غَنِيٌّ حَمِيدٞ﴾

الله غني حميد، عبادتنا لا تزيده ولا كفرنا ينقصه. ملكه ثابت مهما كانت قلوب الناس.

الغنى الحقيقي في الفقر إلى الله، والعز في التوكل عليه.

(الآية 7)

﴿ زَعَمَ ٱلَّذِينَ كَفَرُوٓاْ أَن لَّن يُبۡعَثُواْۚ قُلۡ بَلَىٰ وَرَبِّي لَتُبۡعَثُنَّ ثُمَّ لَتُنَبَّؤُنَّ بِمَا عَمِلۡتُمۡۚ وَذَٰلِكَ عَلَى ٱللَّهِ يَسِيرٞ﴾

زعم: **تدل على قول بلا دليل، فكان إنكارهم للبعث دون دليل.**

﴿قُلۡ بَلَىٰ وَرَبِّي لَتُبۡعَثُنَّ﴾

فأقسم الله بنفسه على البعث، والقسم له أثر يقع في النفوس.

أقسم الله على البعث ثلاث مرات في القرآن:

1) في سورة يونس، قال تعالى:

﴿وَيَسۡتَنۢبِـُٔونَكَ أَحَقٌّ هُوَۖ قُلۡ إِي وَرَبِّيٓ إِنَّهُۥ لَحَقّٞۖ وَمَآ أَنتُم بِمُعۡجِزِينَ ﴾ [يونس: ٥٣]

2) في سورة سبأ، قال تعالى:

﴿ وَقَالَ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ لَا تَأۡتِينَا ٱلسَّاعَةُۖ قُلۡ بَلَىٰ وَرَبِّي لَتَأۡتِيَنَّكُمۡ عَٰلِمِ ٱلۡغَيۡبِۖ لَا يَعۡزُبُ عَنۡهُ مِثۡقَالُ ذَرَّةٖ فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَلَا فِي ٱلۡأَرۡضِ وَلَآ أَصۡغَرُ مِن ذَٰلِكَ وَلَآ أَكۡبَرُ إِلَّا فِي كِتَٰبٖ مُّبِينٖ ﴾ [سبأ: ٣]

3) في سورة التغابن، قال تعالى: ﴿قُلۡ بَلَىٰ وَرَبِّي لَتُبۡعَثُنَّ﴾
من أنكر البعث خالف مقتضى العقل، فالذي خلق الإنسان من عدمٍ قادرٌ على إعادته. لذلك يجب الاستعداد للوقوف بين يدي الله ومحاسبة النفس.

{ثُمَّ لَتُنَبَّؤُنَّ بِمَا عَمِلۡتُمۡۚ وَذَٰلِكَ عَلَى ٱللَّهِ يَسِيرٞ}
الإنسان مبعوث ثم موقوف للحساب بين يدي الله، ومن علم ذلك يعلم مسؤوليته، ومن علم مسؤوليته فليعد جوابًا لسؤاله.

(الآية 8)
{فَـَٔامِنُواْ بِٱللَّهِ وَرَسُولِهِۦ وَٱلنُّورِ ٱلَّذِيٓ أَنزَلۡنَاۚ وَٱللَّهُ بِمَا تَعۡمَلُونَ خَبِيرٞ}
النور هو القرآن، ففيه نور للحياة، نور للصدر، نور للقلب.
قال النبي صلّى الله عليه وسلم:
«اللهم اجعل القرآن العظيم ربيع قلبي ونور صدري».
فلا بد من الفهم، والتدبر، والعمل.

(الآية 9)
{ يَوۡمَ يَجۡمَعُكُمۡ لِيَوۡمِ ٱلۡجَمۡعِۖ ذَٰلِكَ يَوۡمُ ٱلتَّغَابُنِۗ وَمَن يُؤۡمِنۢ بِٱللَّهِ وَيَعۡمَلۡ صَٰلِحٗا يُكَفِّرۡ عَنۡهُ سَيِّـَٔاتِهِۦ وَيُدۡخِلۡهُ جَنَّٰتٖ تَجۡرِي مِن تَحۡتِهَا ٱلۡأَنۡهَٰرُ خَٰلِدِينَ فِيهَآ أَبَدٗاۚ ذَٰلِكَ ٱلۡفَوۡزُ ٱلۡعَظِيمُ}
سُمّي يوم الجمع؛ لأن الله يجمع فيه الأولين والآخرين
وقيل: لأنه يجمع الإنسان مع عمله،
وقيل: لأنه يجمع الظالم والمظلوم.
وهو يوم التغابن؛ لأن أكثر الناس خسروا، وباعوا الآخرة بالدنيا.
وسمّاه الله يوم الحسرة، قال تعالى:
﴿ وَأَنذِرۡهُمۡ يَوۡمَ ٱلۡحَسۡرَةِ إِذۡ قُضِيَ ٱلۡأَمۡرُ وَهُمۡ فِي غَفۡلَةٖ وَهُمۡ لَا يُؤۡمِنُونَ﴾ [مريم: ٣٩]
كل الناس يتحسرون يوم القيامة؛ الكافر على كفره، والمؤمن على الوقت الذي ضيّعه في أمور لا تنفع.
من صور التغابن في الدنيا:
الأكل الكثير، النوم الزائد، إضاعة أوقات الفراغ في الملهيات، وسائل الإعلام، الترندات، أو ترك استغلال الأعمال الصالحة؛ وإضاعة الوقت والفرص دون زيادة في الإيمان.

ملخص المحاضرة الثانية عشر

النتيجة قبل دخول الجنة:

يُحاسب الإنسان على الوقت والجهد الضائعين:

أما غبن الكافر فبترك الإيمان، وأما غبن المؤمن فبالتقصير في الإحسان.

أعلى صور الغبن للكافر: رؤية مقعده في الجنة وما كان يمكن أن يناله لو أطاع الله، فيزداد حسرة وغمًا.

أعلى صور الغبن للمؤمن:

التقصير؛ حين يرى مافاته من درجات وإن كان بإمكانه زيادة الحسنات فيندم.

في الآخرة ما لا يمكن تعويضه؛ فاشتغل الآن.

الصفقة بين الله والإنسان

منح الله الإنسان الحياة، الصحة، العمر، المال، النفس، القدرة، والإرادة.

من استثمر هذه النعم في الطاعة فاز بالجنة.

قال تعالى:

{ قَالَ ٱهۡبِطَا مِنۡهَا جَمِيعَۢاۖ بَعۡضُكُمۡ لِبَعۡضٍ عَدُوّٞۖ فَإِمَّا يَأۡتِيَنَّكُم مِّنِّي هُدٗى فَمَنِ ٱتَّبَعَ هُدَايَ فَلَا يَضِلُّ وَلَا يَشۡقَىٰ * وَمَنۡ أَعۡرَضَ عَن ذِكۡرِي فَإِنَّ لَهُۥ مَعِيشَةٗ ضَنكٗا وَنَحۡشُرُهُۥ يَوۡمَ ٱلۡقِيَٰمَةِ أَعۡمَىٰ } [طه: ١٢٣-١٢٤]

أمثلة على الغبن:

رجل تعلم علمًا وعمل به فنجا، والآخر تعلم ولم يعمل فدخل النار.

رجل اكتسب مالًا بطريقة محرمة، فأنفقه الورثة في طاعة الله فدخلوا الجنة، أما هو فعُذب.

رجل عبد الله بصدق، ورجل آخر ابتغا به وجه الناس فتوجه إلى النار.

التحذير من المغفلين

{وَٱلَّذِينَ كَفَرُواْ وَكَذَّبُواْ بِـَٔايَٰتِنَآ أُوْلَٰٓئِكَ أَصۡحَٰبُ ٱلنَّارِ خَٰلِدِينَ فِيهَاۖ وَبِئۡسَ ٱلۡمَصِيرُ } [التغابن: ١٠]

يجب على الإنسان ألا يضيع عمره ووقته، وألا يغفل عن أمر الله، وألا يترك الشيطان يخدعه.

{ذَٰلِكَ ٱلۡفَوۡزُ ٱلۡعَظِيمُ}

﴿وَمَن يُؤۡمِنۢ بِٱللَّهِ وَيَعۡمَلۡ صَٰلِحٗا يُكَفِّرۡ عَنۡهُ سَيِّـَٔاتِهِۦ وَيُدۡخِلۡهُ جَنَّٰتٖ تَجۡرِي مِن تَحۡتِهَا ٱلۡأَنۡهَٰرُ خَٰلِدِينَ فِيهَآ أَبَدٗاۚ ذَٰلِكَ ٱلۡفَوۡزُ ٱلۡعَظِيمُ ﴾ [التغابن: 9]

نسأل الله أن يرزقنا اليقظة والوعي والفهم، وأن يمنحنا الهمة والعزيمة والإرادة، وأن يوفقنا للتوبة والعمل الصالح.

اللهم آمين.

سبحانك اللهم وبحمدك أشهد ألا إله إلا أنت أستغفرك وأتوب إليك.